زهرة الاجنف .. صوت الحزن والامل

تونس / حكمت الحاج

بعد عودتها من جزيرة "مالطا" حيث قدمت عرضين متتاليين ضمن فعاليات المهرجان الدولي للأغنية التراثية والفولكلورية في العاصمة المالطية "فاليت" تحت عنوان "وَشْمَة"، كانا تميزا بالنجاح وحظيا باستحسان الجمهور وثناء وسائل الاعلام المختصة والعامة، باشرت الفنانة التونسية زهرة الأجنف بالاعداد لاستقبال ثلاثة أحداث ستستغرق الصيف الحالي ٢٠٠٥ وستشكل، كما تأمل الفنانة في تصريح خاص، منعطفا مهما في مسيرتها الفنية. وهذه الأحداث هي: نزول ألبومها الغنائي الجديد بعنوان "رقراق" Ragrag إلى الأسواق في الأيام القليلة القادمة، وجولة فنية لإحياء عدة عروض ذات طابع إنشادي رفقة المغنية الفرنسية المعروفة "كويلان رونو" تأخذهما الى أكثر من مدينة في اسبانيا وفرنسا، وانطلاق جولتها الفنية لصيف هذا العام بسلسلة عروض تحمل عنوان الألبوم نفسه.

تواصل زُهْرَة الأجْنَفْ في جولتها الفنية لموسم الصيف المقبل ومن خلال سلسلة عروضٍ موسيقية جديدة بعنوان "رَقْراق" مسيرتها الفنية التي ابتدأت بعرض "طُبُوع" عام ١٩٩٨ مع الفنان الراحل وعازف الناي الشهير، محمد سعادة، وعرض "القنطرة٣" عام ٢٠٠١ مع د. سمير الشيشتي، وعرض "ذاكرة ألحانٍ" عام ٢٠٠٢ .

"رَقْرَاقْ" رحلة موسيقية غنائية في الموروث التونسي الأصيل عبر صياغات لحنية وتنويعات مقامية عربية وإفريقية بأسلوب يجمع بين موسيقى البلوز والجاز والريغي واللاتينو مع استضافة خاصة لآلتي "السيتار" والطبلة الهندية حيث لا تتوانى زهرة الأجنف بين الفينة والأخرى عن الاستعانة بالموسيقى الهندية ايضا.

يتضمن العرض الموسيقي الغنائي " رَقْرَاق " مقدمة موسيقية تشتمل على تنويعات آلية و"استخبارات" جمع= "استخبار" وهو نوع من العزف المنفرد من المقامات التونسية الخالصة، مثل "القبلي" و"الرَكْرُوكي". تنغيمات صوتية، مواويل، وأبيات شعرية.. إرتجال وإنشاد شعري وقوالب موسيقية مثل الصالحي، والملالية، والنجمة، مع موسيقى مصاحبة بدون إيقاعات، بصوت زهرة الأجنف. قطع موسيقية ووصلات تراثية وأغنيات تؤديها زُهرة الأجنف صحبة فرقتها الموسيقية المعدة خصيصا للغرض، وهي كالتالي: ما بين الوديان، رقراق، سُودْ نضارة، فَرِقْ الحمام، عالذرعانة، طَرِقْ قبلي، ريم الحاحايه، على الشط، ساقوا ها الرحل، يا الراحلة، جملها يربخ، صحراوي غزالي ،جمل يهدر، شامة، سيدنا يوسف، ريم الفيالة، هزّي عيونك، سوق وربص، صابر على دايا، يا خد المشموم، اركزي على الرملة، فزت على البنات، ملالية وأشعار، ما تجيبلي الأخبار، سرح طيرك، بو علي النفطي، وأخيرا ارتجال "يا ذروة المعالي" من التراث الصوفي للطريقة القادرية.

أما بالنسبة لألبوم زهرة الأجنف المنتظر نزوله إلى الأسواق بعد أيام عن شركة نوفيكا للصوتيات بتونس، فإنه قد استمد عنوانه من اسم احدى الاغنيات فيه. وان معنى "رقراق" Ragrag في الشعر الشعبي التونسي هو: السراب، كما أوضحت لنا الفنانة بنفسها في معرض حديثها عن أغنيات ألبومها الجديد. وأغنية "رقراق" كلمات وألحان أحمد بن صغير هي "ملزومة" نمط غنائي شعبي تونسي تحكي قصة رجل يشكو فراق الحبيبة وهذه الاغنية كتبت سنة ١٩٦٠، أما أغنية سود نضارة كلمات وألحان فطوم عيسى فهي وصف المرأة اثناء الرقص. بينما تصف أغنية "عالذرعانة" الكلام قديم واللحن لفطوم عيسى مشهد صيد الغزلان، هذا في بنيتها السطحية، أما في العمق، كما تقول زهرة الأجنف، فالأغنية تصف التقاء العاشق بمعشوقته، علما بأن هذه الأغنية تؤدى خصيصا في الجنوب التونسي بمناسبة ليلة الدخلة. قصيدة يا جبل يا عالي كتبتها زهرة الأجنف ولحنتها بنفسها في قالب أغنية لتسرد فيها حكايتها مع الجبل الأجرد في صحراء الجنوب بعد غياب طويل عنه. وتتحدث "دالة بدالة"من التراث كلمة ولحناعن ألم الفراق والنفي والوحدة. أغنية "رُدّ النبأ" هي عبارة عن حوار بين حبيبين. ومن اسمها يظهر ان أغنية "طليت" هي أغنية البكاء على الاطلال وتذكر الايام الخوالي. والأغنية ذات العنوان الغريب "قسو بوطاهم" تتحدث عن الرحيل والبكاء على الذاهبين ربما من غير عودة. ويمكن فهم معنى اسم الأغنية هذه إذا ما قلنا بالعربية الفصحى "نقفو آثار خطى الراحلين...الخ..".

أما لو أردنا الحديث على المستوى الموسيقي الصرف، فنقول إنه إضافة إلى القوالب الموسيقية السالفة الذكر، استعملت زهرة الأجنف في مشروعها الغنائي الذي تضمنه ألبوم رقراق تنويعة مدروسة ومحكمة من الموازين والمقامات وإن كانت في الوقت نفسه ضعيفة في العدد والتنوع. فهي لأغنياتها الثماني ومواويلها الأربعة، لم تستعمل سوى مقامات البيات والقبلي والركروكي. ومن حيث الموازين لم تستعمل سوى المربع الجربي والفزاني والهندي وبونوارة والمحاوشي والسعداوي، إضافة الى ميزان الجاز المعروف باسم سوينغ Swing.

إن ما يميّز نوعا موسيقيا عن الآخر هو الآلات الموسيقية المستخدمة والطريقة التي تُستخدم بها تلك الالات وكيفية أداء نص الأغنية. وبهذا الاعتبار فإن أسلوب زهرة الأجنف في الغناء والأداء الموسيقي هو أسلوب محير متمرد على التصنيف بقدر ما هو ابداعي ونسيج وحده دون شك. جوهر موسيقى زهرة الأجنف هو النظر إلى الماضي. ويأتي هذا من جذور ضبابية لطفولة مستعادة قسرا عبر المزاج الحزين للكثير من الأغاني التي تنطوي على قدر هائل من العواطف الجياشة ناهيك عن رهافة الاحساس بالايقاعات والاشعار تلك التي رضعتها مع حليب أمها الشاعرة الشعبية وصانعة الالحان الارتجالية والتي لها في هذا الالبوم أكثر من نصيب.

إلا ان تلك النظرة الى الماضي سرعان ما تتبدد وتذوب في تشوفات راسخة الى المستقبل مرورا بالحاضر الذي تعيشه فنانتنا التونسية مدركة تماما لحدود الانفصال والتواصل والتقاطع في بدايات القرن الحادي والعشرين ما بين الدوائر التي تحيط يها بل وتأخذها في دواماتها بدءا من دائرة العائلة الصغرى فالكبرى فالوطن الأم فالشمال الافريقي ثم حوض البحر الابيض المتوسط فالعالم العربي الاسلامي انطلاقا نحو الدائرة الكونية الفسيحة.

فمن موسيقى شعبية بسيطة جدا وارتجالية تعتمد آلة واحدة تقريبا، إلى موسيقى أكثر تعقيداً تشتمل على تركيبة متباينة للأوتار والإيقاعات، تستخدم زهرة الأجنف عدداً أكبر من الآلات الموسيقية النفخية والجلدية إضافة إلى القصبة والطبلة الشعبيتين. ويمثل الساكسوفون لموسيقاها الجسر الأكثر حميمية والذي يربط بين التراث الموسيقي التونسي وموسيقى الجاز والبلوز المعاصرتين إذ ان الساكسوفون يحتل عندها موقعا شبيها بموقع العود في الموسيقى العربية، أو السنطور في الموسيقى الإيرانية، والغيتار، وبدرجة أقل الهارمونيكا والبيانو في موسيقى البلوز الأميركية.

وتقوم الكثير من أغاني زهرة الأجنف على تركيبة غنائية بسيطة أو قالب تقليدي يتكون من مذهب وقفلة غير أن الكثير منها يتضمن أيضا خليطا عجيبا من النغمات المرتجلة في بنيتها. كما أن أسلوبها في أداء النصوص الشعرية وهي شاعرة أيضا تكتب نصوصا غنائية عالية الجودة لا يعرف حدودا للتنوع ويشمل العديد من الأنماط والأشكال الموسيقية الإقليمية المشهورة بها منطقة "قفصة" في الجنوب التونسي حيث مسقط رأسها والمتأثرة بالموسيقى الأفريقية إلى حد بعيد. هذا اضافة الى انفتاح موسيقى زهرة الأجنف الواضح على موسيقى البحر الابيض المتوسط مع اطلالة أقل عمقا على الموسيقى العربية التقليدية اذ يبدو انها قد قررت منذ البداية ان تتعامل بحذر مع الأصول التركية للغناء في المنطقة العربية وخاصة في شمال افريقيا لما تتسم بها من اتكال كبير على ربع الصوت الذي سيحيل على الفور الى مزيد من الميوعة العاطفية التي تتعارض من حيث الأسلوب في الاقل مع توجهاتها في خلق مزيج من الموسيقى التونسية الشعبية وموسيقى البلوز والجاز والريغي ذات الأصول الافريقية المشتركة.

بوسع موسيقى زهرة الأجنف أن تشجيك، وأن تعيدك إلى حلبة الرقص أو تغيّبك في النشوة، وأن تسعدك وتبكيك في آن. واذا كان صحيحا قول البعض من متتبعي موسيقاها وأغانيها انه من الصعب أن تتماشى موسيقى من هذا النوع مع النجاح الشعبي والتجاري جنباً إلى جنب، إلا أن شيئا جديدا ينبثق الآن وهو في طريقه الى وجدان الناس وذوق الجمهور الذي لطالما راهنت علبه الفنانة التونسية الشابة. وعلى الرغم من أن ألبوم زهرة الأجنف الأول هذا الذي يحمل عنوان "رقراق" أو "السراب" بالعامية التونسية لا يُصنف تقليدياً ضمن موسيقى الجاز، ولا ضمن الموسيقى الشعبية المُتعارف عليها، فإنه يبدو متأثراً الى حد كبير بموسيقى الجاز الكلاسيكية، وبموسيقى البدو المترحلين والمتوطنين أقصى الجنوب التونسي. ويتأتى هذا من دأب زهرة الأجنف على التدرب المكثف والمستمر في هذين المجالين على وجه الخصوص. ويعتبر أسلوب غنائها بسيطاً إلى حد مدهش في الوقت الذي هو غناء يقوم على الفردية في الأداء الصوتي والدقة الموسوسة في الأداء الصحيح للمقامات والبعد المطلق عن النشاز. والسر كل السر هو في ذلك الصوت الذي نعمت به ووُهبتَ إياه ، فعندما تستمع إلى صوتها لا يسعك إلا أن تقع في حبها. انها صوت موسيقى الحزن والأمل، وصمت موسيقى السراب.

البلدانيات العراقية

من المحرر

قراء مجلة (لغة العرب) التي صدرت في العقد الاول من القرن العشرين كانوا يهتمون بما يكتبه صاحبها انستاس الكرملي والكتاب الاخرون امثال الشيخ محمد رضا الشبيبي ود . مصطفى جواد ورزوق عيسى وسليمان الدخيل وسواهم اضافة للشيخ كاظم الدجيلي عن المدن العراقية وتحولات اسمائها واماكنها وتواريخ ظهورها وتقاليد وعادات اهلها وعشائرهم وابرز اقتصادياتهم ثم غابت المجلة بغياب صاحبها وظل الانشغال بالبلدانيات العراقية على يد جمهرة مقتدرة من الكتاب في مجلات متعددة منها (البيان) و(الاعتدال) النجفية و(الهاتف) النجفية . البغدادية ثم مجلة (التراث الشعبي).

وكان بعض الكتاب قد اصدر كتبا ودراسات عن مدن عراقية أو محلات بغدادية منهم العلامة طه الراوي وشاكر جابر البغدادي وانور الناصري ومحمود العبطة اضافة لدراسات الشيخ كركوش عن الحلة والاسدي حسن عن النجف وجمال بابان عن مجموعة من المدن العراقية والرحلات الاثارية المدونة في كراريس اصدرها الاستاذان اللامعان طه باقر وفؤاد سفر ، غير ذلك كان الدليل العراقي الذي اصدرته وزارة الداخلية في سنوات متعددة في العهد الملكي مادة اولية مهمة في تواريخ المدن وتحولاتها اضافة للعمل الموسوعي الذي قامت به لجنة مؤلفة من الاساتذة احمد سوسة ومصطفى جواد ومحمود فهمي درويش وموسوعة العتبات المقدسة التي اشرف على اصدارها الاستاذ جعفر الخليلي.

كل هذه الكتب والدراسات وسواها مما لم تسعف الذاكرة ذكره تظل مادة اساسية لباحثين جدد يهتمون بتحولات المدن وتراثها الانساني وتسمياتها والتحولات الادارية والاجتماعية لها وذلك يستدعي عملا متصلا تهتم به الادارات البلدية للمدن اولا ووزارات الداخلية والثقافة وشؤون المحافظات وان توضع اولويات واضحة للعمل بهذا الشأن فما زال الكثير من التاريخ الشفاهي والرسمي لم يدون بعد.

باسم عبد الحميد حمودي

حوار مع شتراوس

الحضارة الغربية ولاعب الروليت

ترجمة واعداد: خليل برهان

اجرى جورج شاربونيه الباحث الفرنسي حواراً مطولا مع كلود ليفي شتراوس في التسعينيات من القرن الماضي وكان مما دار بينهما عن المجتمعات البدائية والمتحضرة هذا الجزء من الحوار:-

شاربونيه : العالم يسأل لكي يكتسب معرفة جديدة، اما نحن فنسأل من اجل حفظ الذات ومن اجل ان نحافظ على مفهوم الإنسان الذي نتشبث به بعناد برغم اننا على علم باننا لن نستطيع تعريفه تعريفا دقيقا ونحن نشعر بالالفة مع الانثروبولوجي بقدر ما ترى فيه عالما يستخدم حسه الشعري وسيلة لاكتساب المعرفة لذلك، فنحن نسأله عن تفسير المجتمع الذي نعيش فيه شعريا وان لم يكن ذلك حقل اشتغال فيما هو يدرس بعزم فلكي . وانا اعيد عليك مصطلحاتك . نوعا استثنائياً من المادة الاجتماعية لا يزال في حالة بلورية شفافة ونائية وبعيدة .

ك .شتراوس

انك تسألني في اصعب ما يوجه إلى الانثروبولوجي من اسئلة وقد يصح القول ان هذا السؤال يمثل الحد المطلق لمعرفتنا وقبل محاولة الاجابة عنه ينبغي ان نسال أنفسنا لماذا هو صعب إلى هذا الحد؟ يبدو لي ان هذا السؤال يخفي ويضع سؤالا اخر هو: هل نستطيع ان نرتب المجتمعات الانسانية وفقا لمفهوم التقدم فيكون بعضها أكثر بدائية". وهي كلمة يجب ان نتبناها ما دامت شائعة الاستعمال . ويكون بعضها الاخر، ما يمكن لنا ان نسميه ، أكثر تحضراً".

شاربونيه: كان في نيتي ان اسألك هذا السؤال وهناك اسئلة اخرى .

ك. شتراوس: نعم، واذا سمحت لي فلنبدأ بتناوله من تلك الزاوية، يبدو لي ان العقبة الكأداء تكمن في حقيقة اننا امام خيار واحد، فاما ان ننظر إلى مجتمع ما من الخارج أو ننظر اليه من الداخل، وحين ننظر اليه من الخارج يمكننا ان نضع عدداً من العلامات الايجابية أو السلبية ضده فنحدد درجة تطوره التقني ومعدل انتاجه المادي وحجم سكانه ثم نعطيه ببرود تقديراً موضوعياً نستطيع ان نقارنه بتقديرات اخرى اعطيناها لمجتمعات معينة اخرى.

اننا إذا نظرنا اليه من الداخل فان هذه العناصر القليلة القاصرة تتسع وتتحول بما يتناسب واي عضو في أي مجتمع ومهما كانت طبيعته بغض النظر عن كونه متحضرا جداً أو كونه بدائيا جداً .

ولنضرب على ذلك مثلا ناخذه في سياق مختلف، تخيل كم يؤثر موت شخص معين في "معارفه" واعضاء اسرته.

ان الموت، إذا ما نظر اليه من الخارج حدث عادي تماماً، اما عند اقارب المتوفى ، فيمثل اضطراباً في عالمهم كله ولن نفهم ابدا معنى ان تصاب العائلة بالثكل ما لم تكن هذه العائلة عائلتنا وما لم نكن نحن المصابين بالثكل.

شاربونيه: هناك في الاستعمال الجاري معجم كامل ينبغي ان نكشف عن دلالته التحتية مادمنا نعيش هذا العصر في جماعات واسعة وحتى حين نحاول ان نتبنى برغم افتقارنا إلى التدريب العلمي موقفا مجرداً فنحن نشعر بان كلمة "واسع" تعني شيئا معينا.

ك.شتراوس: موضوعيا لم تضع المجتمعات المعاصرة والجماعات التي نسميها بدائية وساضع في البداية افتراضا اوليا وانا اعترف باني اؤدي دور المدافع عن الشيطان على انني لن اظل اؤديه ولكن يبدو لي اننا يجب ان نبدأ بالتفكير فيه كاحتمال.

لنفترض وجود لاعب روليت متمكن لا يكتفي بالتقاط الرقم المحظوظ بل يقوم بتركيبة معقدة جداً معتمدا مثلا على عشر دورات أو مئة دورة ويمكن الوصول إلى هذه التركيبة بضربة واحدة في المحاولة الالف أو المليون أو لا يصل اليها ابداً ومع ذلك لا يمكننا ان نقول انه حصل عليها في المحاولة السبعمائة والخمسة والعشرين ذلك ان المحاولات السابقة كانت ضرورية لنجاحه في اللحظة المناسبة ولكن هذه اللحظة يمكن ان تتاخر وتلك هي الطريقة التي حصلت فيها الاشياء، ومع ذلك وفي اثناء المحاولات الاولية لم يكن ثمة تطور يمكن اعتباره شرطا ضروريا قبليا للنجاح فلنقل اذن انه كان من الضروري الانتظار بضعة الاف من السنين قبل ان توجد هذه التركيبة البالغة التعقيد اعني الحضارة الغربية.

ستديو ثقافة شعبية

من القاهرة القديمة - بريشة جوزيف كورمسي

الطربوش - زي بغدادي قديم

اليشماغين

مكتبة

التلوث البصري

للشوارع التجارية في مدينة بغداد

تاليف: أ.د. حيدر عبد الرزاق كمونه

بحث في التخطيط العمراني لبغداد باعتباره تصورا للبيئة الحضرية حيث وضع الكاتب مقدمة نظرية ثم تحدث في فصل خاص عن الفضاءات الحضرية واخر عن اثر التشكيل البصري لفضاء المدينة على الإنسان ثم تطرق إلى ظواهر التلوث البيئي للشوارع القديمة والحديثة وقدم اخيراً مقترحاته وتوصياته الخاصة. اصدار: الموسوعة الثقافية بغداد . ٢٠٠٥

مفاتيح العلوم

تاليف: محمد بن احمد الخوارزمي

تحقيق: فان فلوين

يتضمن هذا الكتاب خارطة علمية للعلوم العربية خلال القرن الهجري الرابع ويعرض علاقات العلوم العربية بالثقافات الأخرى الفارسية والهندية واليونانية وتلاقحها معها ويلقي الضوء على ادوار بعض المترجمين في نقل ثقافات الشعوب الأخرى، قدم للكتاب د.محمد حسن عبد العزيز.

اصدار: الهيئة المصرية للكتاب القاهرة . ٢٠٠٤

آلات الموسيقى التقليدية العمانية

اعدت هذا الكتاب لجنة مؤلفة من :خلفان البرواني ود. مسلم الكثيري وجمعه الشيدي وعايده السعودي وعبد الله الصلتي وقد قدم له د. محمود قطاط وقد جمع المعدون فيه انواع الالات الموسيقية التقليدية الوترية والهوائية والجلدية والمصوتة بذاتها ومنها: القصبة. برغام جم (وهي آلة من داخل عمان تصنع من قرون الغزال) . الدف . الطار . الطنبوره . خرخاش . عضد . ميجعه جيام (هاون خشبي كبير) ومئات غيرها.

اصدار: وزارة الاعلام . عمان ٢٠٠٤